

كتب أخبار ملوك اليمن

إذا كان كتاب التيجان لوهب بن منبه يعتبر صورة من صور عصر التجميع بما فيه من تدوين لما عرف العرب عن ملوك اليمن من قصص وأساطير ، قاصدا فيها المؤلف قصدا إلى الإشارة إلى المدلول الانساني العام لهذه القصص والأساطير ، وواضعا ايدينا على الدلالات الدرامية التي تشكل موقف الانسان العربي من القوى المسيرة له والمتحكمة في مصيره ومستقبله .. فكتاب أخبار ملوك اليمن لعبيد بن شريعة الجهمي يرسم صورة أخرى من صور هذا العصر .. قد تتفق مع الصورة الأولى في الاهتمام بإيراد قصص الأولين وأساطير ملوك اليمن ، ولكنها تختلف معها من حيث الهدف والدلالة ، كما تختلف معها من حيث الأهمية والنوع .

فالقصد من هذا الكتاب الذي أحب أن أعرضه عليك كنموذج يمثل التيار الثاني في عصر التجميع ليس الحكاية في ذاتها ، كما أن القصد منه كذلك ليس إيفاء القصة حقها من حيث دلالتها الانسانية ، وإنما القصد من هذا الكتاب شيء آخر .. يمكننا أن نسميه العظة والعبرة ، ويمكننا أن نسميه التربية والتهذيب اللذين تعتمد عليهما القصة .. وهو بهذا يكاد يكون

اقرب الصور الى ما سمي بالقصص في هذا العصر .. والقصص
في عصر صدر الاسلام ثم في العصر الأموي لم يكن يقصد لذاته ،
غانت تعلم ان الدولة كانت تهتم به اهتماما كبيرا بل كانت تعين
القصاص كما تعين القضاة ، ولعلها كانت تعين القصاص من
القضاة .. وقد حملت كتب الادب أسماء القصاصين في كل بلد
اسلامى فنرى أسماء الحسن البصرى وسعيد بن الحسن ،
والاسود بن سريع ومسلم بن جندب .. بل نرى من سمات أصحاب
الفضل ان يعرفوا القصص فيقول الجاحظ في بيانہ وتبيينه ان ابا
جكر الهذلى في منتصف القرن الاول كان خطيبا قاصا عالما بالأخبار
والآثار .

في ضوء هذه الشواهد نحس ان للقصص مدلولاً معيناً
تفهمه به الدولة ويفهمه به الناس .. هذا المدلول هو ما يمكننا
ان نقول ان كتاب عبيد بن شربة هذا يعبر عنه .. وهو مدلول
يرسم ما حدث بعد هذا من تداخل بين القصص والتفسير ..
والقصص اداة دينية من أدوات التوجيه والوعظ ، والقصص اداة
تفسيرية لشرح ما غمض فهمه عن طريق الحكاية والرواية ..
ويقول صاحب الاقتان في ذكر العلوم المستنبطة من القرآن ..
« وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والامم
الخالية ، ونقلوا أخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم ، حتى ذكروا
بدء الدنيا واول الاشياء ، وسموا ذلك بالتاريخ والقصص » .

فهذا النوع من القصص اذن يتعرض لحكايات الأمم السالفة،
ولألقية هذه الحكايات في حد ذاتها، وانما أهميتها فيها لها من قيمة

في تثبيت المعانى الجديدة ، ولما لها من قيمة في تأكيد دلالات
القصص القرآنى والخلق القرآنى .

وعبيد يقول في أول كتابه مخاطباً معاوية : « يا أمير
المؤمنين ، لك في غير هذا الحديث ما يقصر ليلك وتلذ به في نهارك ،
فان فيه ما تهوى وما لا تهوى ، ومغضبة وشغفا للملوك ونعش
مودة » .

هذا الاحتراس من عبيد معناه أنه يعلم أن في دلالات قصصه
ما قد يزعج ملكا عريض الملك قوى السلطان ، من تذكرة بنهاية
الطفاة ، ونهى عن الاسراف في المتعة ، وما شابه ذلك .. ولهذا
كان من الطبيعى أن يؤمنه معاوية من غضبه وسخطه فيقول
له : « عزمت عليك الا اتبعت هواى وحدثتنى ما علمت مما
أسألك عنه ، فأنت في جوار الله وذمته ، وأمان منى ومن غضبى
ونعش مودتى » .

وهكذا يبرر لك الكتاب أن تلقى هذه الأحاديث على مسامح
معاوية . الا أن هناك نقطة أخرى تحتاج الى تبرير ، تلك هى
موقف عبيد بن شرية نفسه من الذين يحكى عنهم .. فهو يمنى
له تاريخه الذى يدين له بالعصبية وله أنبيأؤه الذين يعرف لهم
الولاء .. وهكذا يأتى سؤال معاوية يحاول أن يستوضح هذه
النقطة ، أعنى موقف عبيد بين عرب الجنوب وعرب الشمال .
يقول معاوية : أخبرنى عنك ، مالك ، اذا ذكرت ابراهيم
لم تملك أن تصلى عليه .. وقد ذكرت والدكم هودا نبى الله فلم

تصل عليه وهو نبي الله . ! » ويأتى رد عبيد موضحا موقفه
 تماما اذ يقول : « يا أمير المؤمنين : والله لهو أحب الى من أبى
 الذى حملنى فى صلبه ، وأحب الى من أمى التى أرضعتنى .. ولا
 أعدل بخليل الرحمن احدا ، ولا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ،
 ولا هود صلى الله عليه وعلى جميع الانبياء » ، وهكذا تحدد
 موقف عبيد فيقول معاوية : « انك لمنصف فخذ فى حديثك يرحمك
 الله » .

فأنت تعلم أننا فى هذا العصر قرييون جدا من العصر الجاهلى
 بما فيه من عصبية ، وهذا يبرر الى حد كبير سؤال معاوية
 ومحاويلته تحديد موقف عبيد ، فالقصد بالقصص كما قلنا عظة
 اسلامية لا نعرات جاهلية .. الا ان هذه النعرات تطل برأسها
 رغم كل هذا التأكيد والتحديد فتري عبيدا يقول : « حتى كان
 اسماعيل ونقله أبوه ابراهيم صلى الله عليه وسلم من بلاده ،
 فانزله بمكة .. فكنا نحن جرهم أهل البلد الحرام ، فنشأ
 اسماعيل فينا ، وتكلم بكلام العربية وتزوج منا .. فجميع ولد
 اسماعيل من بنت مضاض بن عمرو الجرهمي .. واسماعيل وأبوه
 منا ، وانتم يا قريش منا ، والعرب بعضها من بعض .. ألم
 تعلموا انكم من ولد اسماعيل بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم ،
 وابراهيم نحن ولدناه وأبوه آزر واسمه تارخ بن ناحور بن أرغو
 ابن شارخ بن فالغ بن عابر ، وهو هود فهو أبونا وأبوكم ، فنحن
 ولدناكم وانتم منا ونحن منكم قليل فى كثير » .

هكذا تطل هذه العصبية التى خشبها معاوية فيؤكد عبيد أن

أهله وقومه هم الأصل ، اليهم يعود جميع العرب .. ويصيح معاوية محذرا : « كأنك تحدث عن حديث الجاهلية » .. فيقول عبيد وكأنها معتذرا : « يا أمير المؤمنين لك في الاسلام ما يغنيك عن ذلك فقد محق الاسلام ما كان قبله كما محق الشمس ضوء القمر » .

وما نكاد نصل الى آخر الكتاب حتى نلمح صورة أخرى من صور هذه العصبية ، فبينما عبيد يروى من شعر ملوك حمير ما يشيدون فيه بذكر ملكهم وعظمة أمرهم ، نرى معاوية كالمحتج فيقول له عبيد : « يا أمير المؤمنين انك لتكفني اقوال اقوام قد ذهبوا كانوا ملوكا .. فاذا قالوا صفروا غيرهم لقدرتهم وعظمتهم » فيقول معاوية مدفوعا بعصبيته : « يا عبيد قد غاب ذلك عنا ، فقل : ان تكن حمير ملكت كما ذكرت فقد أورثنا الله ذلك من ملكهم فهو لنا اليوم قد انتزعه الله بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو منا ، فنحن أسرته وخير الناس بعده ، ولولاه لم نكن شيئا ، وجعل حميرا لنا والحمد لله الذي أكرمنا بنبيه وأورثنا أرض أعدائه الجبابرة العتاه » . وكأنها نفست هذه الكلمات عن معاوية ففثأت غضبه وأرضبت عصبيته فيعود ليقول « قل غير متق شيئا ولا سائب أحدا فانت في ذمتي وجواري والله لك على بذلك شاهد » .

وهذا يدل أول الأمر على قرب وقوع قصة المسامرات هذه من عهد الجاهلية فلا بأس اذن ان كانت في عصر معاوية ، ولا بأس في تصديق صحة نسبة الكتاب لعبيد بن شربة ، والى

مسامرات معاوية .. وهذا يدل ثانيا على ما يحسه الكاتب من حرج لا يقع فيه من يقص القصة لذاتها وانما يقع فيه من يقص القصة لهدف يخشى ان تعلق شبهة بحسن نيته في القصد اليه والاتجاه بحكايته نحوه .. وهذا يعنى ان هذه القصص كما قلنا انما اريد بها خدمة الدعوة الدينية اولا وقبل كل شيء .

ويدخل في هذا ما يتعلق بثقافة القاص .. فبعد ان تحدد موقف القاص البعيد عن العصبية ما امكن ، يحدد الكتاب ثقافته الاسلامية وحرصه على موافقة القرآن الكريم ومعرفته بما جاء به .. فمعاوية يسأل عبيد حين حدثه عن بلقيس اذ يرى ما في كلامه من موافقة لقصة القرآن الكريم : « صدقت ، فهل قرأت القرآن » . فيأتى رد عبيد حاسما حين يقول : « والله يا امير المؤمنين ما حفظته الا في شهر واحد » .. وحين يمضى بعبيد الحديث في قصة بلقيس وسليمان يلحظ معاوية انه يسرد القصة مطابقة تماما لما جاء بالقرآن ، بل ان عبيدا يستعير آيات القرآن الكريم في سرد قصته فيسأله معاوية : « لم تقرا القرآن لهذا الحديث .. الا تأتى بالحديث الذى بلغك ؟ » فيقول عبيد : « يا امير المؤمنين القرآن اصدق أم الحديث ؟ ولو لم يكن هذا في كتاب الله لكان الحديث عندي ثقة » فعبيد يعلن في صراحة انه يلتزم النص القرآنى ما وجد هذا النص ، فان كانت قصته التى يحكيها لم ترد في القرآن فهو يوردها عن ثقة واطمئنان الى مصادره الأخرى .. وحين يسأل معاوية عبيدا عما جاء في خطاب سليمان الى بلقيس وقومها قال عبيد : « قد قلت لك يا امير

المؤمنين انى لا انطق بشيء ليس بيانه في القرآن وقول الله اصدق ،
ثم يورد عبيد نص آية تكمل ما بداه من حديث .

والأمر ليس أمر قراءة للقرآن ، ومعرفة به فحسب ، ولكنه
أمر معرفة بتفسيراته ومرامى آياته ومعانيها . . فعبيد يذكر آية
من القرآن الكريم ، ويسأل معاوية عن معنى كلمة ، فيفسرها
عبيد . فيسأل معاوية : « وما يدريك أن هذا كذلك ؟ قال عبيد :
« سمعت ابن عباس يا أمير المؤمنين يذكر ذلك » ويقول عبيد
مؤكدًا معلوماته : « وسألته عن القرآن أيضا فما يفسر من الظاهر
شيئا الا أنا أعرفه وأعلمه » قال معاوية : « أوله باطن ؟ » فإرد
عبيد : « كذلك سمعت ابن عباس يذكر » فيقول معاوية كالمتعجب :
« ما تركت شيئا يا أخا جرهم الا وقد دخلت فيه وطلبت علمه » ،
ويقول عبيد : « نعم يا أمير المؤمنين ، القرآن أحق ما دخلت فيه
وطلبت علمه » ، فعبيد اذن قرأ القرآن وفهمه ، وطلب العلم
بتفسيره وتأويله وتعلم من ذلك ما وسعه . فهو قد أخذ هذا
العلم عن عبد الله بن عباس الذي اعتمد عليه في كل ما له علاقة
بتفسير ما جاء بالقرآن ، وهو يقول لمعاوية « سمعت ابن عمك
يقول » وهو يقصد ابن عباس وهو كما ترى يصرح في وضوح
أنه أخذ عليه التفسير وتعلم منه كل ما يستطيع . . ويصل به
التحرج في ذكر القصص الذي ورد في القرآن حدا يقول فيه « لست
بمحدث بشيء ليس في القرآن ، ولست بواصف خبرا بلغنى بعد
ما قال الله تبارك وتعالى » . . وقوله هذا يدل على التحرج

المتدين من ناحية ، ويدل على هدفه ورسالته في سرد القصة من ناحية أخرى ..

ويتصل بهذا اتصالا مباشرا طريقته في سرد القصص ، فهو يعتمد اعتمادا أساسيا على آى الذكر الحكيم ، بل يبلغ به الأمر حد اقتباس الآيات بنصها وإيرادها في معرض حديثه لتكمل السرد .. فنرى في حكايته عن عاد حديثا يسوقه على لسان جارية يقال لها مهد ، ناحت بعد هلاكهم ، تقول حكاية عبيد « ويقال يا معاوية انها أول نائحة ناحت في الأرض . فقال لها قومها : ويحك ماذا ترين ؟ وماذا دهاك ؟ قالت : الويل لعاد النى طفت في البلاد فأكثرُوا فيها الفساد » وتتضح هذه الظاهرة في قصة بلقيس وسليمان ، كما تتضح في قصة ثمود ونبيهم صالح ، اذ تكاد تكون تفسيرا للقصص القرآنى ، بل ان هذه القصة بائذات تسير في سردها مع آيات القرآن الكريم خطوة خطوة .

ويدخل في هذا أيضا موقف عبيد من شخوص قصصه وحوادثها .. فالناس عنده قسمان : مسلمون وكفار .. وكل من آمن بالله منذ فجر التاريخ فهو مسلم ، وكل من خالف هذا الايمان فهو كافر .. يتساوى في هذا عنده أتباع ابراهيم وأتباع هود ، اذ يقول في معرض حديثه : « وأسلم مع هود منهم نفر يسير لا يبلغون أربعين رجلا ، وأسلم رجل من أشرافهم وساداتهم وذوى أحسابهم وهو رأس الوفود وصاحب البر والتقوى » .. وهذه في الواقع صفات المسلمين عنده ، وهى صفات المؤمنين الذين ينجون دائما من كل عذاب ، فعند هلاك عاد الذين سلطت

عليهم الريح يقول عبيد : « ولم تترك منهم احدا الا هزيله
العملقية وبنيتها وهى امرأة ابى سعيد المؤمن ، فان الله نجاهم
من العذاب بايمان اصحابهم ، وامر الله سبحانه وتعالى الريح
فحملتهم برفق وشفقة هى وولدها ولم تؤذهم ولم تضرهم حتى
اتت بهم مكة » .

ويستفرقه هذا التصور للمؤمنين مع كل الانبياء حتى نراه
يقول عن آصف بن برخيا وزير النبی سليمان : « فانطلق آصف
وتوضأ ثم صلى ركعتين ثم دعا بالاسم الأعظم » .. والصلاة
هنا ليست دعاء ، وانما هى صلاة اسلامية يسبقها وضوء .
وهذا الاختلاط يتناول فى واقع الأمر كل الأديان التى عرفتها
الجزيرة سواء كانت كتابية أم لا .. والملوك الحميريون انما
يفتحون البلاد ليقضوا على الكفر والكفار ، فهو يقول فى سبب
خروج شمر يرعش من اليمن « ان ملكا من ملوك بابل تجبر وبنى
صرحا للرقى فيه الى السماء ، كما فعل فرعون وهامان ، فمضى
اليه شمر بجنوده فحاربه وظفر به » .. بل ان حماس عبيد
يجعله يحاول ان يبرر بعض ما تعارف الناس عليه من روايات
تنسب الشر لبعض المؤمنين ، كما جاء فى حديثه عن آصف بن
برخيا وزير سليمان ، اذ يذكر انه تعلم اسم الله الأعظم ، فيقول
معاوية : « هبلتك الهبول يا عبيد ، او كان آصف يعلم ما تقول ،
والسحر اليوم نسبته الى علمه وهو الذى كان وضعه ؟ »
فيسرع عبيد قائلا : « ان الشيطان الذى احتل مكان النبی
سليمان خدع آصف والناس اجمعين .. » يقول عبيد : « فيذكر

يا امير المؤمنين ان ذلك الشيطان امر بسحر فكتب ثم دفن تحت كرسى سليمان بن داود واسنده ذلك الشيطان الى آصف بن برخيا ، ثم اخرجہ للناس ، فلما رجع سليمان الى ملكه ورد الله نعمته وكرامته ، لم يلبث الا قليلا حتى قبضه الله اليه ، ولج المجرمون باستعمال ذلك الكتاب وتصديقه .. »

ودفاعه هذا عن آصف انما يحاول به أن ينفي أن يكون السحر — وهو شر — من صنع أحد المؤمنين ، بل من صنع وزير هو تابع وصفي النبي سليمان بن داود .. وشبيه بهذا دفاعه عن الأوس والخزرج وعلاقتهم باليهود في المدينة ، اذ يقول معاوية : « لقد بلغني يا عبيد أن اليهود كانوا بها ما كان الخزرج معهم فيها أمر ، حتى أن الرجل يتزوج المرأة فما يصلها حتى يبدأ بها رجل من اليهود وكانوا غلبوهم على أمرهم .. » فينبري له عبيد قائلا : « معاذ الله يا امير المؤمنين لقد بلغك ما لم يكن . ولقد كانت اليهود بها اذلاء فكانت الأوس والخزرج أمنع من ذلك وأشد ، ولقد اخرجتهم الأوس والخزرج من المدينة حتى سكنوا خير ، وما كانت امرأة من الخزرج يقدر عليها رجل من اليهود أبدا .. »

فهو في حديثه كما ترى يحاول أن يصحح بعض القضايا الكاذبة والأخبار التي تتناول كرامة المسلمين من القوم فهو يدافع عنها وينكر كل ما يعلق بها مما يشين ويكرر .. وموقفه كما ترى موقف واضح يميل بكل ثقله لتعطى أحداث التاريخ لونا

بأهرا زاهرا لكفاح المؤمنين والمسلمين وموضعهم بين الشعوب
قبل الاسلام وبعده ..

ويدخل في تحديد هذا الموقف ما جاء بالكثير من قصصه من
تبشير بدعوة محمد عليه السلام ، وتنبىء بظهوره ودعوته ..
فهو يقول عن سليمان : « ثم ان سليمان سار في أرض العرب
فمر بموضع المدينة فأمر الرياح فوقفت ثم أعلم أصحابه أن هذا
الكان مهاجر نبي يخرج في آخر الزمان من العرب اسمه أحمد
وهو خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم » وتعود هذه النبوءة
مرة أخرى على لسان حبر من اليهود في عهد تبع الأوسط حين
حاول هدم المدينة .. يقول عبيد : « وهم بخراب المدينة فقام اليه
رجل من اليهود يقال له كعب بن عمرو وقد أتى عليه من عمره
مائتان وستون سنة فقال له : أيها الملك لا تقبل على الغضب ،
وأمرك أعظم أن يطير بك النزق أو يمسك في قلبك الحاح ،
وتنزع الى مالا يجمل بك ، وانك لا تستطيع أن تخرب هذه
القرية .. قال : ولم ذلك فقال : لأنها مهاجر نبي يخرج من
هذه البنية — يعنى مكة — وهو من ولد اسماعيل بن ابراهيم
خليل الله .. قال تبع : ومتى يكون ذلك ؟ قال ، بعد زمانك
بدهر طويل فلما سمع كلامه سكن وكف عن خرابها . » بل هو
لا ينهى قصته عن تبع الأوسط هذا الا ويورد على لسانه شعرا
في ذكر خروج النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه :

شهدت على أحمد أنه	رسول من الله باري النسم
له أمة سميت في الزبور	بأمة أحمد خير الأمم
فلو مد دهرى الى دهره	لكنت وزيرا له وابن عم

فالقصاص اذن عمل وعطى يعطينا صورة واضحة عن معنى القصاص ائدينى الذى انتشر فى هذه المرحلة انتشارا كبيرا ورعته الدولة وشجعته ..

وثمة ظاهرة مهمة تلفت النظر فى هذا الكتاب الذى هو عبارة عن مسامرات فى مجالس معاوية ، هى ان معاوية لا يقف وقفة المتفرج او المستمع انما هو يناقش ويسأل ويطالب بين الحين والحين بالبرهان والدليل .. فحينما يذكر عبيد عن عاد ما اصابهم من قحط ثم يقول « واجمعوا على المسير الى بيت الله الحرام يستسقون الغيث » يقول معاوية مجادلا « لله انت يا عبيد وكيف كانوا يطمعون ان الله يستجيب لهم وهم مقيمون على الشرك بالله وعبادة الأصنام » ويرد عبيد قائلا « كان الناس فى ذلك الزمان العرب وغيرهم من المشركين اذا نزل بهم فادحة او نايهم نائبة او اجهدهم قحط او غيره فزعوا الى الله فيأتوا الى البلد الحرام يطلبون من الله الفرج فيعطون مسائلهم ويعرفون من الله الاستجابة عند بيته الحرام ، فيجتمع بمكة بشر كثير مختلفة اديانهم يطلبون من الله حوائجهم ، كلهم عارف بمكة وحرمها ، فلا يبرحون حتى يعطى السائل سؤله مما سأل .. قال معاوية: فهل كان فى ذلك الوقت يعرف موضعه ؟ .. قال عبيد : نعم يا معاوية » وسمة الحوار تغلب على أجزاء كثيرة من الكتاب . ولكنه حوار انسانى يعرف مايسمع من أمر، فأنت تلمح من معاوية هذه العبارة كثيرا تعقيا على حقيقة يحكيها عبيد «وكذلك بلغنى» فما نكاد نصل الى آخر الكتاب حتى نرى معاوية يقول لعبيد :

« لله درك يا عبيد ، انك لتحدثنى عجا ، ما شفانى عنهم (يعنى ملوك حمير) وعن اخبارهم وما كان منهم احد غيرك .. » فمعاوية اذن لديه علم ما يقول عبيد سمعه من غيره من قبل . فهو حين يناقش انها يعترض على بعض ما يخالف ما سبق له ان عرف من روايات الرواة الآخرين .

وقد قال المسعودى فى مروج الذهب : « كان لمعاوية بن ابي سفيان ساعات من كل يوم يقعد فيها فيحضر غلمانہ الدفاتر فيها سير الملوك واخبارها والحروب والمكائد فيقرأ ذلك عليه غلمان مرتبون . » فالحديث الذى يقصه عبيد يعرض على ناقد بصير لا يتلقاه منه مسلما ، انما هو يعترض دائما سائلا او منكرا او مستزيذا او مناقشا . حتى اننا نرى معاوية يعترض على رواية قصيرة يحكيها عبيد على لسان الرائي فيقول معاوية : « يا عبيد ما كنا نظن هذا الشعر الا لذى نواس . » قال عبيد : « يا امير المؤمنين قرب هذا وبعد الآخر ، وكان اسم هذا أهون على الرواة ، فأما القول فوالذى بعث محمدا لقد رويت هذا الشعر وان ذا نواس لغلام » .. فالسامع اذن يريد من الراوى ان يحقق كل ما يقول ، وان لايتعارض مع الرواة السابقين ، فان تعارض فعين معاوية النافذة الناقدة تعرف وجه التناقض ومكانه . وبصيرته الواعية تريد له تفسيراً .

وانا احب ان اسوق كل هذه المناقشات لارد بها على ما استنتجه الدكتور حسين نصار من ان الكتاب لم يكن مجالس حقيقية وانما مؤلف على صورة المجالس .. اذ يخرج الدكتور

نصار بأن الكتاب من جمع ابن هشام وأنه عمل فيه ما عمل في سيرة ابن اسحاق . . كما نرد به على ما ذهب اليه الأستاذ كرنكو من أن عبيدا شخص خيالي لا وجود له ، وأن الكتاب من تأليف ابن هشام أو البرقي أو محمد ابن اسحاق مكملا به المؤلف ما ينقص كتاب وهب بن منبه من أخبار .

ونحن بادىء ذى بدء قد ذكرنا أن هناك اختلافا في الهدف بين الكتابين ، فبينما وهب يتقصى قصصه بهدف إبرازها ، وتوضيح ما تحمل من مضامين انسانية عامة ، متتبعا التسلسل التاريخي وبادئا من خلق العالم الى سيف بن ذى يزن آخر ملوك بني حمر . . نرى عبيدا يقصد قصدا الى العظة والعبرة ، ويحتذى القرآن الكريم خطوة خطوة ، ويعنى بالدلالات الاسلامية دون غيرها .

فالهدف مختلف في الكتابين بل ان كلا منهما يمثل اتجاها بذاته من اتجاهات عصر التجميع . كذلك كشفنا لك عما في مجالس معاوية وعبيد من مناقشات سببها عقلى مرة ، وهو اختلاف ما يرويه عبيد عما يعرفه معاوية . وسببها نفسى مرة ، وهو العصبية التى تطل برأسها حينما عند عبيد فيردها معاوية ، وحينما عند معاوية نفسه مما يكسب المجالس ضدقا وجرارة لا تأتي لمن يؤلف المجالس تأليفا .

والذى دعا الدكتور حسين نصار والأستاذ كرنكو الى هذا الفرض وجود أخبار مروية عن البخترى عن محمد بن اسحاق ،

أو عن الشعبي أو غيره . . والواقع أننا نضطر هنا إلى أن نقول ما قلناه في كتاب وهب من أنه كتب مرتين ، مرة حين رواه عبيد والأخرى حين أعيدت صياغته على يد غيره . والواقع أن الأمر في كتاب عبيد أسهل . فالذي أعاد تأليف كتاب عبيد كان حريصا حين يضيف شيئا من عنده أن يسنده إلى من أخذ عنه ، فهو يصرح في صفحة ٣٧٨ من طبعة حيدر آباد قائلا : « وذكر محمد بن اسحاق في غير حديث عبيد بن شريه » وهذا معناه أنه يلفت النظر إلى أنه يستطرد ويخرج عن الكتاب الأصلي فيورد خبرا جديدا يسنده هذا إلى ابن اسحق . . ويستمر في سرده للخبر حتى ينتهى منه فيقول : « ثم رجع الحديث إلى عبيد » وهو حين يأخذ من كتاب وهب يقول في صفحة ٣٧٩ « وفي حديث وهب بن منبه أن . . » ثم يعود بعد ذكر ما أخذ من وهب يقول « ثم يرجع الحديث إلى عبيد » فقوله في غير رواية عبيد أو في غير حديث عبيد تفتح الأذهان في الحال إلى موضع الإضافة ، بينما تشير عبارة رجع الحديث إلى عبيد إلى عودة اتصال الحديث إلى الكتاب الأصلي . .

وكأنها المؤلف يحترز الاحتراز الذي رأيناه عند معاوية فهو حين يلمح نقصا في رواية عبيد يكملها من مصادرها . والواقع أن المتتبع لهذه الإضافات يرى أنها امتداد لقصة عبيد حدثت بعد موته كالرواية التي ذكرت عن سمرقند وما كتبه أحد ملوك حمير على حجر عندها ، إذ يقول معاوية بعد أن يسمع حديث عبيد « اللهم أرنا تصديق قول ابن شريه فإنه يذكر عجا ، وإن شاء ربى فعل ذلك » إذ تستمر الرواية هكذا « فبلغنى عن

الشعبي انه ذكر عن رجل من خيوان همدان .. « الى آخر
الحديث الذى يؤكد صحة ما قاله عبيد .. والاضافة كما ترى
تكلمة من عند المؤلف الجديد .. وبعض الاضافات التى نسبت الى
وهب تحقيق للأساطير التى يرويها عبيد أما التى رويت عن ابن
اسحق فمعظمها اسلامى متأخر ..

فالكتاب اذن صور قلمية لجائس حقيقية ، وما جاء فيها
كالتأليف المقصود اليه هو من وضع ابن هشام و اضافته لاكمال
الكتاب وضبط ما به من تناقض مع ما حفظه الرواة السابقون
لعبيد بن شريه .

وكتاب عبيد يمتاز بكثرة ما أورده من شعر ، وقد كان
معاوية يطلب الشعر ان اغفله عبيد حتى لنرى تاريخ ملوك اليمن
بأسره يأتى على لسان ملوكها شعرا ، ومهما كان الأمر فى هذا
الشعر فهو موضوع لا شك ، الا انه بوصفه هذا يعتبر تدوينا
شعريا لهذا التاريخ ، حتى أننا نرى فى تاريخ تبع الأوسط ذخيرة
شعرية ضخمة تحكى كل أحداث حياته مما يحتاج الى جمع ودراسة ،
عله يكون فى مجموعة ملحمة شعرية ترد على أصحاب الراى الذى
يقول ان العرب لم يعرفوا الملاحم ..

* * *